القواسم المشتركة بين الأديان كأساس للحوار المثمر

صدف بروين
مقارنة الأديان بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

ABSTRACT

The inter faith common or macro values, such as sincerity , honesty, justice, respect of human life and human compassion are the basic of inter personal common life . This is due to the fact that such values are reflected to the daily human behavior and help in shaping it. The civilization dialogue should be run of the basis of broadening the existent gap. Moreover such values are considered the basis because the main goal of all messages is everything related to goodness, righteousness, justice and the common interest.

As for creeds, they represent the link between the individual and his creator in first place.

Secondly, these creeds represent s a compound stage of the human thought. It is known that one's personality starts with inclination and ends in belief. Hence the conversation from one creed into another is a very difficult issue. Furthermore, men's conviction of the truthfulness or falsehood of his creed is mostly fruitless issue.

Thirdly, these creeds should not move from the individual level to the collective one. Otherwise creeds will be the cause of communal, or even universal clash.

Fourthly, creeds may be abused in religious, marginalization isolation at times killing, or at least creating negative feelings towards the other who adopt the religion difference from mine.

لايخفي علي من له أقل إلمام بدراسة مقارنة الأديان أن هناك قواسم مشتركة بين الأديان سماوية كانت أو وضعية التي يمكن أن تكون أسسا أساسية للحوار بينها،وتسبب للتقريب وتخفيف كل الحرارة والحساسية الموجودة بينها علي ساحة الأرض في الوقت الراهن،وبعض هذه الأمورتتعلق بالأمورالعقدية،مثل العقيدة في الألوهية بين معظم الأديان العالمية،و البعض الآخر تتعلق بالقيم،وتتسب لتوثيق العلاقات بينها،ونحن في هذا المقام في أشد حاجة إلي البحث عن هذه القواسم المشتركة ليجتمع علي المائدة حولها كل أصحاب الديانات وليأخذ بالبحث عنها،ناوين وآملين الوصول إلي الحق والحقيقة،ثم رسم الخطط للتصالح و التناصح بين أتباع أصحاب الديانات،و سوف أحاول كل المحاولة للإحاطة علي هذه الأمور المشتركة فمن أبرز هذه القواسم المشتركة بين الأديان كأساس للحوار بينها وضعية كانت أو سماوية وهي بالإيجاز العقيدة في الألوهية والأخلاق والعدل والتقوى والإيمان بالله والحرية والعلم والإنسجام بين الروح والمادة في الدنيا والآخرةوالقضاء علي المجاعات والفقر والإرهاب فلا يقر أي دعوة ما تحاول أن تحرق هذه القواسم.ونختار تفصيل الثلاث الأول ويكفي الإشارة إلي الأخري لأجل عدم إتساع في هذا المكان.

أولاً : التوحيد عقيدة الفطرة الإنسانية:

إن سلامة العقل توجب احترام الحقائق وإدراك الواقع والوقوف بالظنون عند حدودها ورفضالأوهام وعدم الإيمان بالخرافات .والإنسان بفطرته التي خلقه الله عليها يدرك وحدانية الإله مثلما هو يدرك بفطرته أن العدل جميل والظلم قبيح وأن العلم مفتخر وأن الجهل معرة قال تعالي :"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها(1)

فالناس كما خلقهم الله علي فطرتهم ،لكن العوائق المصطنعة هي التي تقطع عليهم طريقتهم وتردهم عن وجهتهم؛ يقول تعالي في

الحديث القدسي :(إني خلقت عبادي حنفآء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا).(2)

وكلمة التوحيد الخالدة "لآإله إلا الله "قالها كل نبي ورسول من الله،ودعا إليها قومه منذ نزل آدم علي هذه الأرض وحتي أكمل الله دينه وأتم نعمه علي الناس جميعا بدين الإسلام.(3) فهي الأصل في جميع الأديان تم طرأ الشرك على البشرية وكلما انحرفت البشرية من التوحيد أرسل الله الرسل لتركيز بني آدم بعقيدة التوحيد مرة أخرى من جديد ومما يؤيد ذلك قصة الخلق في القرآن الكريم وهو آدم وكان نبياً وهو أول من سكن الأرض من البشر وعندما انتكست المجتمعات وتدهورت أخذت في عبادة المخلوقات الأخرى فعبدوا الشمس لشروقها الدائم ومنافعها المتعددة(4) كما قال تعالى "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين..."(5)

ويمكن البرهنة على أن دين البشرية الأولى كان واحداً في شكله، توحيدياً في موضوعه، ويقوم أساساً على إسلام الوجه وتطويع القلب لله، ومن هذه البراهين نذكر أمثله من الأديان السماوية الثلاثة وقول ماكس ميلرفي الألوهية والأديان الأفريقية الوثنية القديمة.

أولاً: يؤمن أتباع الديانات السماوية الثلاث – اليهودية والمسيحية والإسلام – بأن آدم هو أب البشرية كلها، وهو صنع الله المباشر وأول المؤمنين من البشر، فالعقيدة الحقة التي كان عليها آدم هو التوحيد الخالص، تلك حقيقة أولية التي تتفق عليها الكتب المقدسة. ومن الطبيعي أن تكون هذه هي عقيدة للأجيال اللاحقة من أبنائه. فإذا حدث خلاف بين البشر وظهرت فيهم عقائد مختلفة كما هو حادث الآن. فمرد ذلك ومصدره إلى طغيان الإنسان ومحاولاته التدخل في دين الله بغياً على الحق بغير حق وبذلك يكون نتاج اختلاف البشرية الأولى عقائد وأفكارا منحرفة كلها بعيدة عن الحق إلا عقيدة التوحيد الخالص.

ثانياً: أثبت ابحات العالم الألماني الدكتور ماكس ميلر. الذي كانت له اليد الطولي في حل رموز السنسكرتية بالهند: "أن الناس كانوا

في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص وأن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الدينيين.(6)

ثالثاً: وفي دراسة عن عقائد القبائل الوثنية في إفريقيا وجد " أن فكرة الله الأعلى تكاد تكون موجودة لدى جميع القبائل. بل إن مفهوم الذات الإلهية الكلية الحضور والذاتية الاكتفاء والشاملة القدرة نجده بين كثير من القبائل – كالزولو بجنوب أفريقيا والباراوندا والأشانتي بساحل العاج والآكان بغانا واليروبا بنيجيريا والبوكونجو بأنجولا والنجومية بالكونجو. وإن لدى الاقزام وهم أقدم سلالات أفريقيا كاننا أعلى يطلقون عليه اسم "مونحو" وإلى هذا الكائن الأعلى يعزو الأقزام أيضاً خلق جميع الأشياء وأنها ترجع إليه.

كما أن هناك أسطورة من قبائل لشاجا بتنزانيا تروي أن الله غضب من أعمال البشر فأهلكهم فيما عدا قلة. وجلى مدى التشابه بين هذه الأسطورة وقصة سيدنا نوح عليه السلام ويروي البامبوتي والتشاجا والميروكيف أن الرب حرم أكل ثمار شجرة معينة على الإنسان وكيف أنه حينما عصى الإنسان الأمر وأكل منها جاء الموت إلى الأرض. وتعتقد قبائل التوركانا من كينيا مثلاً أن الله لمع أنه يشفى من المرض قد يصيب به أولئك الذين يعيشون المحارم ويخالفون الطقوس الهامة(7)

هذه هي الصورة الصحيحة لعقيدة الألوهية لدى الديانات السماوية ولدى معظم الوثنيات إلا ان الأجيال اللاحقة غيرت هذه الأوضاع كما تلاعب أيدي الملوك وأحبار سوء.ـــ **وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانهاـــ** فالناس عبدوا السماء لأنها تحتوى على الشمس والقمر والنجوم ومنها يسقط المطر والبعض عبدوا الأرض لأنها تبط الزرع ويعيشون عليها.(8)

هكذا عبد الإنسان في شخصيته الأب اولاً لأنه وفر النعمة والقدرة. ثم تحولوا إلى عبارة رئيس القبيلة لأنه أكبر قوة وقدرة كما عبد المصريون فرعون مصر، يقول تعالى : " فحشر فنادى، فقال أنا ربكم الأعلى...(9) وإلى يومنا هذه مازال ملك اليابان معبود الكثير من أبناء شعبه.

فهكذا حدث الإنحدار عن عقيدة التوحيد التي أتى بها الأنبياء والرسل وما زال في عصرنا هذه يدافع الناس عن الوثنية وأصبحت التماثيل علامات ورموز، وإذا ذبحت البقرة رمز الألوهية في الهند تجتمع لنصرتها أفواجا من الناس يحرقون القرى، ويذبحون الأطفال والنساء وينصرون آلهتهم وحقا من اشتكى سيدنا إبراهيم عليه السلام بقوله " رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم.(10) وتتنوع مظاهر الإنحدار والتردي و السخرية نجد في العالم اليوم من صور مختلفة.

كما أن كثيرا من الأصنام في العصر الحالي لها قداسة في النفوس تشبه أصنام العرب في الجاهلية ولون جديد من الأصنام يحصر في التنمية والتقدم والفردية وتمجيد الأمة أصنام القوة المسلحة والجيوش الجرارة وغيرها من أصنام وطواطم ورموز مقدسة،حتى الإنسان يسجد للإنسان والإنسان عبد الحديد إذا لزم الأمر بينما جاءت عقيدة التوحيد في الإسلام لتنفي كل صنمية إنطلاقاً من كلمة "لا إله إلا الله".(11) وفي السطور التالية نود أن نتأكد من وجود هذه العقيدة الحقة في نصوص كتب الديانات السماوية الثلاثة وغير السماوية مثل المجوسية والهندوسية والسيخية.

اولاً: اليهودية و فكرة الأ لوهية

إن اليهودية إحدى الديانات السامية وهي من الديانات التوحيدية. ولا يمكن لدى دارس أن يتاكد من تصور الإله بمجرد الرؤيا لأتباع الديانة دون النظر في كتبهم الأصلية وذلك لأن كثيراً من المعتقدين يجهلون عن كتبهم،ولأجل ذلك يجب أن يرجع إلى المراجع الأصلية لمعرفة الصورة الصحيحة عن أتباع أي دين من الأديان. **تصور الإله الواحد في أقوال سيدنا موسى عليه السلام.**

يتجلى هذا من بعض النصا ئح لموسى عليه السلام في سفر التثنية الإصحاح 6 الأية 4. "إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلب ومن كل نفسك ومن كل قوتك. (12)

1- **انحاكم والحافظ** يقول في سفرأشيعاء الأصحاح 43 اللآية 11 "أنا الرب وليس غيري مخلص.(13)

كما قال في نفس السفر الإصحاح 45 الآية 5 "أنا الرب وليس آخر لا إله سواى – نطقتك وأنت لم تعرفني لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري أنا الرب وليس آخر... ويقول في الإصحاح 46 من سفر إشعياء "أذكروا الأوليات منذ القديم لأني أنا الله وليس آخر.(إشعياء 9:46 (14)

2- الإله الواحد: إن الديانة اليهودية تذم عبادة الأصنام في ضوء الآيات التالية: من سفر الخروج أصحاح3 آية20... 5.

"لا تصنع لك تمثالاً منحوتا ولا صورة ما، مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض ولا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور.(15)

"أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما من السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور."(16)

هذه هي الصورة الصحيحة عن الألوهية في اليهودية من واقع آيات الكتاب المقدس والذي يظهر لنا من بعض الآيات الأخرى أو من حياتهم العبادية العملية وتدخلت الوثنية فإنها طارئة وذلك لأجل إمتزاج اليهود في عصور مختلفة مع الوثنيات- البابلية أو اليونانية- وما إلى ذلك في عصر شتاتهم ومنفاهم. فنذكرهم بهذه الآيات بالعودة إلى العقيدة في الإله الواحد والذي هو رب الكون بأكمله وليس فقط رب بني إسرائيل،وهذه هي الميزة المشتركة بينهم وبين المسلمين وهي كلمة "سواء "بيننا وبينهم .

ثانيا: المسيحية وفكرة الألوهية:

المسيحية هي من الديانات التوحيدية في الأصل و عندما نصل إلى الحديث عن الله في التفكير المسيحي نحتاج إلى مزيد من الصبر لنرى التحول الخطير الذي أصاب الفكر المسيحي في هذه القضية الهامة تقرر الأناجيل المسيحية وأعمال الرسل ثلاث قضايا مهمة:

أولاها: أن الله واحد لا شريك له.

والثانية: أن عيسى رسول الله وليس أكثر من رسول.

والثالثة: أن عيسى عليه السلام رسول الله لبنى إسرئيل فقط ونكتفى بالحديث عن القضية الأولى والثانية لأن القضية الثالثة خارجة عن نطاقنا.وعن القضية الأولى نورد النصوص التالية من هذه الأناجيل:

- يروى متى عن عيسى قوله: إن أباكم واحد الذي في السماوات (17)
- ويروى مرقص قول عيسى: الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه(18)
- ويروى يوحنا عن عيسى قوله: إلى اصعد إلى ابي وإبيكم وإلهي وإلهكم (19)
- ويروى متى في إخراجه الشياطين: "لكن إن كنت بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله. (20)
- ويروى لوقا عن عيسى عليه السلام: "ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين .(21)
- ويروى يوحنا عنه: "لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الأب، لأن أبي أعظم مني.(22)
- وورد في يوحنا كذلك: "أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل.(23)

لقد تبين لنا من النصوص السالفة أن عيسى عليه السلام لم يدع الألوهية وقداعلن مراراعن الوظيفة التي لأجلها جاء.

وهذا يظهر لنا من القضية الثانية والتي نورد بعض الآيات من الأناجيل في حقها:

- جاء في إنجيل متى قوله: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل . (24)
- وجاء في لوقا: قد أخرج فينا نبي عظيم. (25)

- ويروى يوحنا: "إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم.(26)

- ويروى يوحنا كذلك عن عيسى قوله: وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله .(27)

ويروى لوقا عن عيسى قوله عندما أحس بقرب نهايته بسبب مؤامرات اليهود عليه: "وينبغي أن أسير اليوم وغدا وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين.

هذا هو حديثنا عن الألوهية في الفكر المسيحي الذي هو تلخيص لدراسات واسعةفالإله فيه واحد وهو أساس التقرب والحوار بين الأديان والتي أرسل لأجلها سيدنا المسيح عليه السلام. ولا نحتاج إلى أي تلخيص عندما نتحدث عن فكرة الألوهية في الإسلام وذلك لأن الموضوع واضح تمام الوضوح.

فيكفينا كتاب الله تعالى وخاصة سورة الإخلاص "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً له أحد" والدلائل حول وجود الله ووحدانيته وصفاته واضحة وليس فيها أي نوع من الغموض وإن كل محاولات الإنحراف عن هذه العقيدة قد باءت بالفشل.والآن نأتي إلي الألوهية في ضوء الأديان الوضعية

الهندوسية والعقيدةفي الألوهية:

من الفروق الأساسية بين عقيدة المسلمين في الألوهية وعقيدة الهندوسية الحالية هي أن الهندوس يعتقدون في وحدة الوجود. بمعنى أن كل الأشياء المرتبة حية كانت أو مية فهي آلهة ولأجل هذا إنهم يعبدون الأشجار والشمس والقمر وكل مظاهر القطرة، والمسلمون يعتقدون أن كل الأشياء لله فالفرق الأساسي بين الهندوس والمسلمين فقط لحرف "ل" ولا أكثر من ذلك.

ولكن كما قلنا في البداية أن العقيدة الصحيحة يظهر بالرجوع إلى نصوص كتب الديانات الأصلية، فنقدم للقارئ بعض النصوص من كتب الهندوسية التي تدل على ذكر إله واحد.

1. تقوم بعض أشعار لبهجوت كيتا: "الذي سلب عقلهم فإنهم لأجل الرغبات المادية ينحنون أمام الألهة الكاذبة وأنهم قد وضعوا الأصول للعبادة طبقاً لهوى أنفسهم.(28)

ويقول أوبانشاد: " هو واحد فقط وليس بإثنين .(29)

ويقول أوبانشاد في آية أخرى: "ليس له أب وليس مالك" . (30)

كما قال في آية أخرى: "ليس كمثله شئ .(31)

ويقول في آية أخرى: "هؤلاء يُرى ونستطيع أن تراه العين .(32)

هذا و نجد أمثالها آيات كثيرة في كتب الهندوس الأخرى التي تتحدث عن وحدانية الله تعالى. فظهر لنا منها بأنها هي عقيدة الفطرة التي نادى بها سورة الإخلاص. وذاته سبحانه وتعالي في ضوء الآيات القرآنية الأخرى "لا تدركه الأبصار" فهي العقيدة الصحيحة إلا أن الوثنية والكثرة قد تراكمت بمرور الزمن وغيرت الأوضاع الصحيحة وأفسدها.

وفكرة الألوهية السيخية:

فإنها ديانة وضعية في الهند خروجا على الهندوسية لأجل بعض ومعتقداتها الفاسدة مثل وجود الكثرة من الآلهة والفروق الطبقية فهي حركة إصلاحية في أصلها وفصلها و إن نانك المؤسس الأول نادى بالتوحيد والقضاء على الفروق الطبقية فيقول لنا عن العقيدة في الألوهية. "لا يوجد إلا إله واحد ، وليس كمثله شئ" ويوجد الغورو وهو معلم الكل. الثواني والدقائق والساعات والأيام والفصول كلها نتيجة من المصدر الوحيد نفسه وهو المصدر نفسه الذي خلق الشمس وكل ما هو مخلوق صادر عن الإله. وكما يقول في مطلع كتابه "جورو جرانت صاحب :

ايك اونكا – الله واحد

ست نام – إسمه الصدق

كرتار بوركه – هو الفاعل المطلق الذي لا يحتاج أحدافي فعله وعمله.

- نربهو – لا يخاف أحدا
- نرووير – الذي لا يعادى أحدا وهو محب لجميع مخلوقاته
- أكال مورت – هو الأزلي والأبدي الذي لا بداية ولا نهاية له.
- أجوني- الذي لا شكل ولا صورة له
- سي بهنك – القائم بالذات الذي لا يحتاج إلى أحد في وجوب وجوده.
- كربرساد– الذي يمنح حصول رضائه التوفيق (33)هذاوهناك آيات كثيرة التي تتحدث عن التوحيد في جورو جرانت لدي السيحية.
- فكل هذه الصفات هي مثل الصفات في الإسلام لله تعالى وفي نهاية المطاف لهذه السطور

نستطيع أن نقول أن عقيدة التوحيد هي عقيدة الفطرة وهي موجودة لدى الديانات السماوية كما توجد لدى كثير من أصحاب الديانات الوضعية وأصحاب العقائد الوثنية من الديانات القديمة وهي سبب لفتح باب الحوار والتقارب فيما فيهم. إلا أن الإنحراف بالإديان هو الذي سبب الصراع بين معتنقيها، ولو سارت الأديان سيرها الطبيعي كرسالات من عند الله دون تحريف لا لتقت جميعاً في أهدافها وفي كثير من وسائلها.

إن الدعوة التي ننادي بها هي أن نعود للحق، وأن نخلص معتقدات البشرية مما تسرب لها من أخطاء وما قادها للإنحراف، ليحل الوفاق محل الخلاف، والوئام محل الصراع ونحن نعتقد أن العقيدة الصحيحة معروفة لكثيرين من قادة الأديان، ولكن الاحتراف وحب الدنيا وزينتها يزينان الباطل لتأييد الإنحراف. غير أن الإسلام يرفض مثل هذه الوثنيات ويعطى بنية دينية متكاملة للدين وذلك بإتخاذ التوحيد الخالص كقاعدة دينية أساسية تبنى عليها العقيدة المكونة من مجموعة أركان للدين وترتبط بها شريعة منبثقة بالإله الخالق. ومن خلال شعبه الأخلاق والقيم الأخلاقية المنبثقة عن العقيدة والشريعة تستمد أساسها من التوحيد، إذن التوحيد كقاعدة دينية أساسية في العلاقات بين الشعوب. وأكد الإسلام على وحدة الدين بإعتبار التوحيد الأصل في التدين قبل ظهور التعدد والشرك والوثنية ونادى بإمكانية عودة الشعوب إلى أصلها التوحيدي ودينها الفطري الذي فطر الله الناس عليها.(34)

وهو أصل مشترك بين الأديان كأساس للعلاقات الإنسانية العالمية وبذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو وفد نجران إلى

الأخذ بالإتفاقية فيما بين المسلمين وبينهم فعلمنا من هذه الأمور المتفقة والمشتركة وهي " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بينا وبينكم...

ولذلك تظهر جلياً معاني العقيدة في توحيد الله وللإستسلام الكامل لله والإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل والطاعة وفي كل ما يأمر وما ينهى "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" (35)

كماوردفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان والإحسان والإسلام أن تقيم الصلاة وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم يكن تراه فإنه يراك(36) فظهر لنا من كل هذه النصوص المعتمدة والمستمدة من أصل كتب الديانات السماوية والوضعية بأن العقيدة في الألوهية والتوحيد كانت أساساً واصلاً للعقائد والعبادات الأخرى فيمكن لنا أن نقول أنه لو رجع أصحاب كل هذه الديانات إلى هذا الأصل الأصيل الذي هو أصل لجميع القيم المشتركة بين الأديان كأساس للعلاقات الإنسانية العالمية وفكروا فيها للزمهم احترام بعضهم بعضا ونشأة الولاء والمحبة وتبادل الإحترام والتسامح فيما بينهم ولنجت البشرية في القضاء على كثير من الهموم و المشاكل التي تعاني منها في ربوع الأرض بإسم الإرهاب والتطرفيه.

وإنه يمكن لنا أن نقول أن الإسلام أرسى العديد من القواعد والأسس التي تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع. ومن أهم هذه الأسس هي العدالة الإجتماعية بما تحمله من معاني وقيم رفيعة تساعد على القيام بمجتمع يتمتع بالسلام والإخاء والمحبة والرخاء والعدالة في الإسلام لا تطبيق فقط على المسلمين، إنما جعلت لجميع أفراد المجتمع بغض النظر عن معتقداتهم.

أما الأصل الثاني من القواسم المشتركة بين الأديان فهو الأخلاق ويمكننا هنا أن نحللها لغة أولاً ثم إصطلاحياً وذلك لأن المعاني اللغوية قوالب للمعاني الإصطلاحية:

التعريف بالأخلاق وأنواعه: من البديهيات أن اللغة تنقل المعنى، وتعتبر عن القيم المختلفة للمعاني، لذلك كان من الضروري أن نشير

ولو بإيجاز إلى معنى وأخلاق "في لغات مختلفة"، وفي اللغة العربية بالذات.

ففي اللغات الأوربية، المشتقة من الأصول اللاتينية واليونانية، توجد كلمتان تشيران إلى "الأخلاق" الكلمة الأولى "MORALS" وهي مشتق من اللفظ اللاتيني "MOS" ومعناها التعود على شئ ما. والكلمة الثانية "ETHICS" وهي مشتقة من الكلمة اليونانية "ethos" ومعناها " سكن" أو "كرسي ثابت" ، والمعنى يشير أيضا إلى الثبات أو الإعتياد في السلوك.

وقد اصطلح كثيرون من الناطقين باللغات الإغريقية على أن يخصصوا الكلمة الأولى "MORAL" لوصف أنواع السلوك الأخلاق، بينما استخدموا الكلمة الثانية "ethics" للتعبير عن الأصول والأسس التي يبنى عليها السلوك، ويمكن ترجمتها "أسس الأخلاق" أو "النظرية أو النظريات الأخلاقية" او تجاوزاً "الفلسفة الأخلاقية".(37)

ويظهر أقرب المعنى للأخلاق في اللغات غير العربية من كلام "الياذة" صاحب دائرة المعارف للأديان: قال

> Morality is thought to pertain to conduct of human affairs and relation between persons, while religion primarily involves the relationship between human being and transcendent reality(38)

وفي اللغة العربية تترجم الكلمتان السالفتا الذكر باللفظ العربي "أخلاق" وهي جمع "خلق" (بضم الخاء واللام). وهي تعنى ملامح الشخصية كما تظهر في السلوك – وأصل اللفظ من الفعل "خلق" ومعناه معروف وهو "أوجد" أو "أظهر إلى الوجود" – ومن هذا الفعل اشتقت عدة كلمات منها.

"خِلقة" (بكسر الخاء وسكون اللام) وهي تشير إلى الملامح أو الصورة الجسدية التي تميز شخصاً عن آخر، وكذلك "خلق" (بضم الخاء واللام) التي أشرنا اليها. وفي القواميس العربية يقال إن "خلق" (بضم الخاء واللام) هي الصورة التي اعتاد عليها الإنسان في سلوكه، أو صورة الإنسان من داخل نفسه. فكما أن "خلقة الإنسان" (بكسر الخاء

واللام) تبين صورته الجسدية من الظاهر، هكذا "خُلق الإنسان" (بضم الخاء واللام) يبين صورة الإنسان من الداخل.(39)

ولو حظ من البيان السالف لكلمة الأخلاق عند الغربيين والمسلمين أن أغلب القواميس العربية تربط بين الأخلاق الفاضلة والحياة الدينية، فالأخلاق عند الناطقين بالعربية مرتبطة إلى حد كبير بالدين، بخلاف ما نجده عند الفرنجة، فكثيرون يلتزمون بقواعد الأخلاق دون أن تكون لهم عقيدة دينية معينة.إذن ثبت أن مصدر الاخلاق إلهى وتكتسب صفة الثبات والدوام وتنظم سلوك الإنسان داخل المجتمع وتخلق المجتمع المثالي وتعطي أكلها كل حين.

في ضوء البيان السالف الذكر نستطيع أن نقول أن "الأخلاق هي دراسة أفعال الإنسان من حيث إنها صالحة أو طالحة. ويتعلق موضوعها بما يقوم به الأفراد والجماعات من أفعال". هناك تمييز بين الأفعال الإرادية أي التي تقوم بها عن قصد، والأفعال اللاإرادية. إن الأخلاق تدرس الأفعال الإرادية، كما أن علماء النفس والإجتماع يدرسون أمثال هذه الأفعال. ويهتمون إهتماماً خاصاً بالطابع الأخلاقي المميز للأفعال الإرادية، ويريدون معرفة ما الذي جعلها صالحة أو طالحة، وما الذي أضفى عليها الصبغة الأخلاقية.

يهتم علم الأخلاق بالدراسة المنهجية لمثلنا وأهدافنا الخلقية وأسباب اختياراتنا وأنماط سلوكنا الحسن أو السيئ، وتظل مع ذلك علماً مرتبطاً بالحياة القويمة، لا مجرد شكل من أشكال الفعل الخلقي أو الممارسة الخلقية. إنما تعطينا زاداً من المعرفة العملية العامة، لكن الفرد منا يبقى مسئوولا عن اتخاذ قرارات شخصية يطبق بها تلك المعرفة في الحياة اليومية.

الأديان السماوية:

اليهودية: الديانة اليهودية تنظر إلى أهمية الإلتزام بالقوانين الأخلاقية التي أعطاها الله إلى بني إسرائيل عن طريق موسى عليه السلام والتي سميت بـ "الوصايا العشر " التي تنظم سلوك الإنسان وتدفع به للقيام بالأعمال الصالحة. وهي كلها تتخلص في سفر الخروج الإصحاح عشرون والآية من 12 إلى 17 فهي تعبير كامل موجز عن حقوق العباد والنظام الأخلاقي في التوراة وهي كالآتي " أكرم أباك وأمك كيْ تطول

أيامك على الأرض التي ليعطيك الرب إلهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة الزور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته إمرأة قريبك ولا عبده ولا أمته، ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.(40)

كما أن سفر الأحبار إصحاح 12 وسفر الإستثناء الإصحاح 23 وصموئيل الثاني إصحاح يؤكد على الطهارة التي هي شطر الإيمان كما أن سفر الأحبار الأصحاح 10 والآية 9--10 تحرم تعاطي الخمر حرمة باتا ونرى في سفر الخروج اصحاح 22 الآية 25 وسفر الأحبار اصحاح 25 الآية 26--27والإستثناء الإصحاح 23 الآية 19 حرمة الرباء. كما أن أكل لحم الخنزير محرم في ضوء سفر الأحبار اصحاح 11 الآية 7 وسفر إستثناء إصحاح 14 الآية 8 ويسعياء اصحاح 65 آية 3--4.

فهي كلها خير مثال يبين كيف أثر الإعتقاد الديني في أخلاق الأفراد والجماعات. لكن اليهود أعتادوا تقسيم البشر إلى قسمين أحدهما اليهود ولهم من الحقوق ما ليس لغيرهم، والثاني غير اليهود. وهؤلاء لا يعاملون معاملة اليهود فيما بينهم: (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ...(41).

فإنهم غيروا هذه الأوضاح الفطرية السمحة وأخذ مكانها المفاسد الخلفية التي نجدها الآن في اليهودية الحالية. لحق تمليك جميع الثروات المادية حسب نصوصهم الحالية لهم فقط وأنه لا مكانة لغير اليهود في المجتمع لأنهم شعب الله المختار. كما أنهم يؤكدون بإبادة أصحاب المقاومة ويظلمون على البلاد المحكومة كما إن الغدر بعد العنف من جملة الأخلاقية اليهودية كما نرى من مفاسدهم الأخلاقية التجلس والجشع وحب المال والماديات دون النظر إلى المصدر فهذا كلها ما لم يأمربها شرع الله تعالى ولم يحكم بها في الشرع المنزل على موسى عليه السلام.

المسيحية: أما الديانة المسيحية ترى إن على الإنسان التحلي بالأخلاق الحسنة والإبتعاد عن الأخلاق السيئة لأن الإنسان سوف يحاسب على أعماله يوم الحساب أو الدينوية، إذ ورد في الإنجيل على لسان السيد المسيح عليه السلام بأنه في يوم القيامة سوف "يجازي كل

أحد بحسب أعماله". (42) وجاء السيد المسيح عليه السلام بالكثير من التعاليم النيرة المشرقة الجديرة بتحريض الجماهير على الإقبال على الروحانيات والأخلاق، التي تعد من أعظم الوسائل لترقية الإنسان في العقائد الصالحة والأعمال الحسنة.

فقد ركزت النصرانية على الخصال الخلقية المتمثلة في الحب والرحمة والتضحية لكونها ذات إرتباط وثيق بالقيم الدينية. وهذا ما نقرؤه في المؤلفات النصرانية واليهودية،فهما في الأصل ديانتين سماويتين مبنيتين على العقيدة والأخلاق غير أن تاريخهما الطويل فمليئ بالمجازر البشرية بين اليهود والنصارى وبين الأديان الأخرى فالنظام الأخلاقي الذي تخلى عن الدين الذي يحد من أنانية الفرد ويكفكف من طغيان غزارة وسيطرة عادته وإخضاعها لأهدافه ومثله ويربى فيه ضمير الحي الذي على أساسه يرتفع سرح الأخلاق، فالذين و الأخلاق شئ واحد لا يقبلان الإنفصال ولا يفرق بعضها عن بعض فهو واحد لا تتجزى، إن الدين كالروح للأخلاق والأخلاق كالجو للروح إن هذه الصلة مفقودة بين اليهودية والنصرانية وبين الأخلاق. وقد جرى في التاريخ أحداث رهيبة قادها القساوسة والبابوات وأدل على ذلك الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين – لقد فقدوا التوازن والمصداقية. أما العقيدة الإسلامية فتتوفر فيها هذه المعالم والمثل العليا نتيجة ربط الأخلاق إلى العقيدة والإيمان والعقيدة السليمة تستمر العمل الصالح يقول تعالى:" قل أمرربي بالقسط...(43)

إهتم كذلك الدين الإسلامي الحنيف إهتماما بالغا بالإخلاق والسلوك،فقد ردت كثيرمن الأحكام الأخلاقية في التعاليم الواردة في القرآن الكريم أو الواردة في السنة النبوية الشريفة علي لسان النبي الكريم محمد صلي الله عليه وسلم والتي كان يجسدها في أفعاله وسلوكه مع الآخرين فقضايا السلو من القضايا الرئيسية في الإسلام الذي هو خاتم الأديان بل هي لب الرسالة الإسلامية،قال تعالي " وإنك لعلي خلق عظيم"(44)وقد أكد صلي الله عليه وسلم قي قوله " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(45)هذه وغيرها من من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تؤكد علي أن حسن الخلق سببا لرقي الإنسان إلي ذروة الكمال في الدنيا ودخول الفرد إلي الجنة في الآخرة وإن الأخلاق

لاتكتسب بالعلم وقراءة الكتب وإنما بالتمرينات القاسية والتبية الطويلة، وقد أمد علماء المسلمين الأحكام والتعليم الأخلاقية إلي ثلاثة أنواع:الأولي: هي التعاليم الأخلاقية الإلزامية أي الواجب إتباعها،والثانية:هل الأخكام الأخلاقية المستخبة غير الملزمة،والثالثة:هي التعاليم المعمقة للسلوك الأخلاقي والذي يختص بالقلة من الأفراد ممن يتحملونه.(46)

فالأخلاق الإسلامية يبتغي بها وجه الله ثم تبتغي بها الحياة الفاضلة الكريمة .وقد ورد في ذلك قول الله تعالي: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنسي نصيبك من الدنيا "(47) فالقيم الخلقية وبالإيجاز في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هي عبارة عن الرحمة والرجاء والشكر والجود والصبر والصدق والعدل والتعادن على البر،والأمانة والرضاء، وقوة الإرادة، والتصميم، والإخلاص في العمل والكرامة الإنسانية، والسلامة التي هي كلمة مشتقة من إسم الله تعالى " السلام" فكانت لذلك منزلته في القيم التي تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقات الدول بعضها بالآخر.(48)

وأود أن أقول في هذا المقام من البحث: إن النواحي الأخلاقية في الأديان السماوية الثلاثة التي يدين بها العالم اليوم في أغلبيته تتقارب إن لم تتوافق، ومن واجب المخلصين من أبناء هذه الأديان الثلاثة أن يتخذوا من توافق هذه النواحي مفتاحا للتلاقي على الكلمة السواء، التي نرجو إذا صدقوا النية وأخلصوها وصلوا إلى دين الله الحق القويم الدائم، الذي نزل على محمد، ونطق به التنزيل قاصداً جميع شرائعه: ("إن الدين عند الله الإسلام"... (49)

القيم الخلقية في الأديان غير السماوية:

فنرى أن الهندوسية تركز على تحرير الروح من قيود هذا العالم وتدعو إلى الإنعتاق التام من شئون الحياة وإن تتبع نصوص شرع مانو أو منوسمرتي تبين أن الهندوس حريصون على نظام أخلاقي دقيق يتميز بالإحترام والفضائل، ومعظم ما يطرحونه في هذا الباب غير مخالف لما تأمر به الرسالات السماوية.

أول ذلك ما يأمرون به من إحترام شديد لكبير السن، وما يطلبونه من الصغير من آداب يتعاطى من خلالها مع من هم أكبر منه، "لا تجلس على الحصير أو الفراش الجالس عليه من هو أكبر منك قدراً، وإذا كنت جالساً ودخل عليك من هو أكبر منك قدراً فقم له واستقبله وسلم عليه".(50)

والصغير إذا لقي الكبار عليه أن يبدأهم السلام وأن يعرفهم بنفسه، ومن لا يعرف ألفاظ السلام يستخدم مع الكبير تعبير نمسكار، أي أنحني أمامك. في نصوصهم: "على الصغير إذا ما لقي كبيراً أن يعرفه بنفسه بعد السلام عليه قائلاً: أنا فلان".(51)

هذا التكريم ينطلق من القدر والعلم لا من العمر فقط، ويتسع ليشمل عدداً كبيراً من ذوي الشأن المحيطين بالإنسان، لذلك جاء الأمر عندهم بضرورة احترام وإجلال مجموعة كبيرة من الأشخاص، "قف وعظم خالك عمك وحماك والعلماء الذين يقومون بالأعمال الدينية وأستاذك ولو كانوا أصغر منك سناً. (52)

وقبل ذلك، فالتكريم الأكبر والإحترام الأعم هو للوالدين فهما أصحاب الفضل الأساسي على الإنسان، وقد عانيا ما عانيا في تربيته وإعداده: " ليس بالمستطاع مكافأة الأبوين، حتى ولا بمئة سنة، على ما يقاسيانه من العذاب في نسل الأولاد... "على التلميذ أن يقوم على خدمة الأبوين والأستاذ بما يرضيهم، وبذلك ينال ثواب عباداته كلها... إن طاعة هؤلاء الثلاثة هي خير العبادات، فعلى التلميذ الا يقوم بعبادة ما، رجاء الثواب وزيارة الحسنات إلا بإذنهم".(53)

فالوالدان والأستاذ هم أكثر من يحسن للإنسان ويسهم في تشكيل شخصيته، لذلك وجب عليه أن يبادلهما الإكرام والإجلال، وهذا الإحترام يعبر عنه بأسلوب المخاطبة وبالهيئة عند التخاطب مع الأستاذ. والأدب الهندوسي في هذا الباب فيه: "يجب على التلميذ ألا يكلم أستاذه وهو مضطجع أو وهو جالس على حصير أو وهو يأكل أو كان منحرف الوجه عنه، بل عليه أن يكلمه قائماً إن كان الأستاذ جالساً، ويتقدم إليه ويقترب منه إن كان قائماً ويسرع إليه إن كان قادماً ويركض خلفه إن كان سائراً".(54)

وما هذا الطلب إلا لأن الهندوس يقولون بأن الإنسان يكرم لعلمه وصلاحه لا لسنه وشيبة، لذلك فإحترام الأستاذ والعالم واجب حتى لو كان أصغر سناً من تلميذه.

وإذا كان في الإسلام حديث نبوي فيه:"أعطوا الطريق حقها"(55)وآخر فيه:"ليس منا من لم يوقر كبيرنا"(56)، فالهندوسية تأخذ بذلك أيضاً. ففي أحد نصوص شرعهم: "على المرء ان يوسع الطريق لراكب المركبة ولمن أناف على التسعين وللمريض ولمن كان يحمل حملاً وللمرأة وللتميذ وللملك وللعروس".(57) والهندوسي عليه أن يسعى إلى النعيم الأخروي، وبذلك عليه أن يتحمل الأذى في الدنيا، وأن لا يرد الإساءة بمثلها.

إن الأمور التي تحظرها الهندسية وتعاقب عليها تجعل من نظامها الأخلاقي نظاما مقبولا من أجل ضبط المجتمع. وهو يشكل بعض مواقف الشرع الهندوسي في مسألة الخلق ةالفضيلة والضبط الإجتماعي، يظر جليا أن الهندسية تتمتع بنظام أخلاقي متقدم وموضوعي ومفيد في ضبط المجتمع ،ويلتقي في أغلب أسسه مع رسالات السمآء.(58)

البوذية وتعاليمها في الأخلاق:

ونرى بجنب الهندوسية من ديانات شبة القارة الهنية أن البوذية كذلك تؤكد على التعاليم الخلقية وتساند المعايير الأخلاقية من عطف وإعتدال واجتناب للعنف كما تشجع الفرد على ممارسة التأمل في المسائل الأخلاقية الأخرى التي توافق الفطرة الإنسانية والشرائع السماوية السمحة كما هي تتجلى من البيان في السطور التالية.

تشدد البوذية على الأخلاق، وهي مسلك منطلقه طهارة باطن الإنسان، حتى أن رهبان البوذية يرتدون اللون الأصفر ليدللون على أنه تعبير عن إشراق الحق في نفوسهم، وأن سرائرهم نقية براقة كلون لباسهم. وفي إحدى أدبياتهم "دارما بادا" قالوا: "الذين يريدون إرتداء الثياب الثياب الصفرآء عليهم أن يطهروا أبدانهم من الباطن وإلا فإنهم لآيستحقون ارتداء هذه الثياب".

فالنية تؤسس للعمل،وسلامة النيات تؤدي إلى السلوك الفاضل. حتى المال، وهو متعلق مادي، يكون التصرف به والتعامل معه بناء لما في نفوسنا حياله، فالدافع للعمل سابق عليه. قال البوذيون في إطار الحديث عن هذا الأمر: "جميع الأقوال هي نتيجة لتفكيرنا بصورته المعينة خيراً كان أو شراً، فنتائج الأعمال تتبع الباعث على العمل كعجلات العربة تتبع حوافر الحيوان الذي يشدها.(59)

و بعد النية أو الباعث يأتي دور الفكر وإعتماده الحكمة والاتزان بعيداً عن الأهواء والشهوات، لأن الإنسان كلما قاوم سلطان الشهوة كلما استطاع أن يواجه المثيرات والمغريات مهما ازدادت. يقول البوذيون: "وإذا كانت الرياح لا تستطيع أن تؤثر شيئاً في الجبل لأشم فإن الأحداث كذلك لن تؤثر في الشخص الذي أبعد عن فكره الهوى والشهوة، ووجه طاقته لليقين والحياة الزاهدة". (60)

فالزهد والفكر السليم سلاحان يتقي بهما صاحبهما الشرور والرذائل مهما هبت عليه أعاصير الشهوة، فقد قالوا في هذا: "وإذا كان المطر لا يمكنه التأثير في السقف المتين فإن النفس وشهواتها لا يمكن أن تؤثر في الفكر السليم".(61)

والفكر السليم الذي يقي صاحبه من الشرور والمفاسد هو ذلك الذي ينطلق من الفضائل، ويكون منهجه مستنداً إليها لأن الأشخاص الذين "يفكرون بمنطق الفضيلة في كل غاياتهم ومقاصدهم يزدادون قوة على قوة في سلامة منطقهم، فلا يتقيدون برباط دنيوي أو شهواني".(62)

إن من أراد أن يسلك طريق الفضيلة، ويعتزل الشرور يوجهه بوذا في "إنجيله" إلى إعتزال الشرور العشر، فيقول له:

"إن جميع الأعمال السيئة تنتج عن شرور عشرة، والإبتعاد عنها يأتي بالحسن الجيد.يوجد ثلاثة شرور جسدية، وأربعة لسانية، وثلاثة فكرية أما الشرور الجسدية فهي: القتل والسرقة والزنى.(63)وأما اللسانية فهي: الكذب والإساءة والوشاية والكلام الباطل. وأما الفكرية فهي: الطمع والبغض والضلال.(64)

وأني موصيكم بالإبتعاد عنها جملة:

لا تقتل بل إحرص على الحياة.

لا تسرق، ولا تسلب بل دع المجتهد يلد بثمار أتعابه.

تجنب الدناءة ومل إلى النقاوة.

لا تكذب بل كن صادقاً، وقل بإدراك وبدون جزع ويقلب محب.

لا تختلق شراً، ولا تشته مقتنى قريبك، بل غض بصرك وكن مدافعاً مخلصاً عنه ضد الأعداء.

لا تحلف بل تكلم بوقار وإحتشام.

لا تبدد الوقت بالهذر، بل قل ما يجب أو فاصمت.

لا تطمع ولا تحسد بل إفرح لسعادة الآخرين.

نقّ قلبك من كل شر ودنس، ولا يمل قلبك إلى البغض بل أحب عدوك، وعامل الخلق بمعروف وإحسان.

حرر عقلك من الكبرياء، واسلك سبيل الصدق، ولا سيما فيما تحتاج إليه، لئلا تسقط فريسة للريب والضلال، لأن الريب يجعلك مهملاً متوانياً ويقودك إلى الجهل فتضل عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى حياة الخلود".(65)

هذه الوصايا لا تبعد مما جاء في الوصايا الدينية في رسالات السماء، وإذا كان من المعلوم أن إتصالاً حضارياً كان قائماً مع بلاد الهند والشرق عموماً مع المنطقة العربية منذ آلاف السنين، فإنه لا يبعد أن تكون هذه التوجهات السليمة قد تسربت إلى بوذا من الرسول، ومنها الوصايا العشر عند موسى عليه السلام. (66)

وفي النهاية نتخلص إلى القول: إن البوذية، وهي تنتشر اليوم كديانة يعتقدها مئات الملايين، كانت قد بدأت مع بوذا فلسفة أخلاقية تبغي إزالة الشقاء عن الإنسان وتحقيق خلاصه، وقد اعتمدت المسلك السلبي بتوجيهها إلى الزهد والتقشف والعزلة، إلا أنها اليوم، وبعد تراكمات ثقافية عديدة على مر القرون، باتت ديانة وضعية، وقد داخلتها مؤثرات ثقافية عديدة، ولم تعد كما كانت، أو كما صاغها بوذا وأراد لها أن تكون.

وكانت هذه المأسات لأجل عدم إستيناء هذا القانون. إلى عقيدة دينية فانهار هذا القانون الأخلاقي في أحقاب تاريخ وحول إتباعها إلى وحوش كاسرة مثلوا بالبشرية شر تمثيل وما زالت دول آسيا تحمل انتماءهم إلى هذه الديانة البوذية مثل كمبوديا وأوس وفيتنام تأنلندا وسرى لنكا، فان النزعات العنصرية نشأت في هذه الدول أدى إلى مجازر

بشرية وتصوية جسدية في فطاني جنوب تائيدلندا وكمبوديا. فهذه الدساتير الأخلاقية راحت أدراج الرياح .(67)فإن الخلل في نظام الأخلاق ترجع إلى أنها خالية عن العقيدة بينما الأخلاق الإسلامية من تبطة بالعقيدة التوحيد الفطرية.

الكنفوشوسية والأخلاق:

تركز الجهد الأساسي لكونفوشيوس على الإصلاح والسعى لبناء مجتمع، تتحقق فيه سعادة الإنسان، ويكون ذلك ببناء المجتمع على أسس التوادد والتراحم بين الناس على مختلف المستويات. بهذه الطريقة "أصبح الولاء البنوي يعني خدمة الوالدين أثناء حياتهما، ومن ثم أكتملت العلاقات الخمس لتعاليم كونفوشيوس، وهي، علاقة الأمير بالرعية، وعلاقة الإبن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الصديق بصديقه.(68)

إن دعوة كونفوشيوس الإصلاحية في السياسة والحكم والأخلاق كانت تحوي إيجابيات كثيرة إلا أن ما يؤخذ عليه هو موقفه السلبي من المرأة، والذي لا يختلف عن سائر المفاهيم السائدة في البلدان المجاورة للصين ومذاهبها كالهندوسية والبوذية والشنتوية.

هذه كانت صورة موجزة لمكانة للأخلاق عند أصحاب الديانات السماوية وعند بعض الديانات الوضعية مثل الهندوسية والبوذية والكنفوسوشية ونرى كذلك في ضوء الروايات التاريخية إن الإنسانية لم تخلو عن القيم الخلقية في القديم فنرى في ديانة البابليين والآشوريين هنالك معتقد بان الآلهة فرضت على الإنسان عدا العبادة المجردة أن يكون حسن السلوك وفقاً للقيم الأخلاقية في مجتمعه، وأن يطبع قوانين بلاده ونظمها الإجتماعية المستمدة من إرادة الآلهة (69)، وذلك لأن الآلهة في العراق القديم كانت تفضل كل ما هو إخلاقي وخير على ما هو غير إخلاقي وشرير (70).

وبعد هذا العرض الموجز للقيم الخلقية في الأديان السماوية وغير السماوية عند أصحاب الحضارات القديمة نقول أن القيم الخلقية قد تختلف عن شعب إلى آخر ولكن في صورها الأصلية هي متقاربة جداً وهي في الإسلام مثالية لا تبعد عن الواقع الذي يعيشه الناس في رضاء واطمئنان لأنها تشريع من لدن الحكيم الخبير (أفلا يعلم من خلق وهو

اللطيف الخبير) أنها تسمو بالإنسان وتخلق منه بعد الضعف قوة ولهذا كانت مطمع المصلحين الذين خلصت نياتهم.(71)

مفهوم العدل:

كلمة العدل لغويا تعنى (القصد في الأمور، أو عبارة عن الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط) ومقابلها الظلم والجور. ومصطلح العدل يرمي إلى المساواة في إعطاء الحقوق والإلتزام بالواجبات دون تفرقة لأي سبب من الأسباب سواء كان دين أو جنس او لون.

تتضح أهمية العدل في الإسلام في كونه صفة من صفات الله تعالى، حيث أنه سبحانه وتعالى العدل. ويعد العدل من القيم الأساسية التي حث عليها القرآن وكررها في العديد من الآيات. ولقد فرض الله العدل على المسلمين ليشمل كل شئ في حياتهم إبتداءا من العدل في الحكم إلى الشهادة ومعاملة الأسرة والزوجة وجميع الناس حتى الأعداء والخصوم. فلقد قال الله تعالى: "إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل...(72) كما يقول: "ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى...(73)

تعنى العدالة الإجتماعية إعطاء كل فرد ما يستحقه وتوزيع المنافع المادية في المجتمع، وتوفير متساوي للاحتياجات الأساسية. كما أنها تعنى المساواة في الفرص، أي أن كل فرد لديه الفرصة في الصعود الإجتماعي.

أسس العدالة الإجتماعية في الإسلام:

تعد العدالة الإجتماعية من أهم مكونات وأساسيات العدل في الإسلام ولقد أوضح د. سيد قطب في كتابه العدالة الإجتماعية في الإسلام أن هناك ثلاثة ركائز تقوم علهيا العدالة الإجتماعية في الإسلام. هذه الركائز هي التحرر الوجداني المطلق والمساواة الإنسانية الكاملة والتكافل الإجتماعي الوثيق حيث أن كل عنصر على الآخر. ويعنى بالتحرر الوجداني هوالتحرر النفسي من الخضوع وعبادة غير الله لأن الله وحده هو القادر على نفع أو ضرر الإنسان. فهو وحده الذي يحييه ويرزقه ويميته دون وجود وسيط أو شفيع حتى لو كان نبي من الأنبياء. فلقد قال الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا... (74)" كما قال: "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء

بيننا وبينكم ألا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله... (75)"

فالعدالة الإجتماعية من أهم أسس القيم لدى الإسلام نؤمن بأن الإسلام منهج يتلاءم مع كل الزمان والمكان وينسجم مع التقدم العلمي والصناعي بما فيه من المرونة والتكيف مع المتطلبات الموضوعية لكل زمن والذين ينكتون في الإسلام ومدى صلاحيته بهذا الزمن لم يفهم الإسلام بشكل صحيح ولم يغوصوا في منابعه الصافية، الحقيقة إن المشكلة ليس في الإسلام وإنما المشكلة فينا نحن والجهل بالإسلام أكبر المشكلة والناس أعداء لما جهلوا فالحقيقة أن العدالة الإجتماعية كانت حلماً منشودة منذ آلاف السنين وطال آمال المظلومين الذين وقعوا ضحية الظلم وجرت دموع اليتامى وأنين الأرامل في غياهب السجون وسادت شريعة الغابة وأصبح القوى يأكل الضعيف ويسرق منه لقمة العيش والسعادة والحياة، فراح يظلم أخاه بكل قسوة غير أن المظلومين لم يسكتوا ويتسلموا، وإنما خاضوا صراعاً عنيفاً ضد هذه القوة الظالمة، وكانت سلسلة النبوة في تاريخ الإنسان حركه رئيسة لكل محاولات التغيير والإصلاح وإقامة العدل ورفع الظلم، فالأنبياء شعارهم الأساسي في دعواتهم إنقاض المستضعفين من براسن الظالمين وكان كل بني يدعوا إلى الإصلاح قال تعالى حكاية عنهم " إن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله".(76)

إستمرت هذه الحركة دون جدوي، راح كثير من الأنبياء وأتباعهم شهداء إلى أن جاء الإسلام وأشرق على الأرض برسالته الخالدة ودستوره الرباني الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكان الإسلام ثورة ضد الظلم والطغيان ثورة المستضعفين، ثورة الفقراء، ثورة الإيمان على الكفر. فسحق كل الفوارق الطبيعة والعنصرية وأعلن بكل قوة " لا فرق لعربي على عجمي ولا لأبيض على الأسود ولا لأسود على الأبيض إلا بالتقوى " كلكم من آدم وآدم من تراب"(77) قال تعالى : " يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.... (78)

إستطاع نبي الإسلام بمنهجه النموذجي الإلهي أن حول الحزبرة العربية من الجاهلية إلى منبع الخير والمحبة والإنسانية وعم

العدل في أرجائها وانتشر الإسلام في أرجاء المعمورة وعم العدالة الإجتماعية في جميع مجالات الحياة.

ومن خصائص هذا النظام العادل يقول تعالى: " يا أيها الذي آمنوا كونوا قوامين شهداء لله ..... ، ولا يجرمنكم سنئان قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى،(79) فقد سوى الإسلام المساوات أمام القانون ومحاربة التمييز العنصري وأمر بتحرير العبيد وتحرير المرءة ورفع مكانتها وأعطى الحقوق للمرأة في الميراث والتجارة والسياسة وأعطى حقوقهم. وأعطى كل ذي حق حقه وفق الحاجة والكفاءة والقدرة وهذه قيمة مشتركة بين جميع الأديان غير أن الأديان الأخرى لم تحقق غاياتها القصوى في ذلك كما وصل الإسلام إليها بالتمام والكمال. وفي نهاية هذا المطف نأتي إلي العوامل التي تؤدي إلى الإنهار القيم المشتركة بين الأديان وبالتالي تلحق الإضرار بالمجتمع البشري والتي نواجهها في عصرنا الحاضروالتي أغلقت أبواب الحوار والتفاهم والتقارب بعضها البعض . وهناك أسباب كثيرة أدق وتؤدي إلى إنهار الثقة المتبادلة بين الأديان.

خلاصة الكلام:

أما القواسم المشتركة أو القيم الكبرى المشتركة في الأديان Macro Values مثل الصدق ، والأمانة ، والعدل ، واحترام الحياة الأدمية والتراحم الانسانى.. وغيرها من هذه القيم .فأولا هي الأساس فيما يتعلق بالحياة المشتركة بين البشر، وهي الأساس لأنها تنعكس على السلوك الإنساني اليومي وتشكله. وهي الأساس الذي يجب أن يجري حولها الحوار بين الأديان، لأن ذلك من شأنه بناء جسور جديدة وتعميق القائم منها بدلا من توسيع الفجوات . وهي الأساس لأن المقاصد الأساسية للرسالات هو كل ما يتعلق بالخير والصلاح والعدل ومصلحة البشر.

أما فيما يتعلق بالعقائد ، فهي أولا تمثل علاقة شخصية بين الإنسان وخالقه. وهي ثانيا تمثل مرحلة مركبة من التفكير الإنساني، فالمعروف أن شخصية الفرد تبدأ بالميل وتنتهي بالاعتقاد ، ومن ثم فإن تغيير العقيدة عملية شديدة الصعوبة وإقناع فرد بخطأ أو صدق عقيدته هو في الأغلب مسألة جدلية عقيمة. وهي ثالثا يجب أن لا تخرج من الإطار الفردي إلى المستوى الجماعي وإلا فستكون محل تصادم

مجتمعي وربما كوني. وهي رابعا قد يساء استخدامها في الاستعلاء الديني ، ونفي الآخر وتهميشه وعزله واحيانا قتله وعند الحد الادنى خلق مشاعر سلبية تجاه الاخر المختلف دينيا .

المراجع والمصادر

1) سورة الروم الآية .30

2) صحيح مسلم حديث رقم 5109 كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفة التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة.

3) راجع للأمثلة عن التوحيد في الديانات السماوية وغيرها بالتفصيل تأليف المستشار محمد عزت الطهطاوي "الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق" ص74 وما بعدها دار القلم دمشق س 2002م

4) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام لواء أحمد عبد الوهاب ص 11 مكتبة وهبه 14 شارع الجمهوريه - عابدين القاهره س 1992.

5) البقرة الآية 213 .

6) من مقدمة "تفصيل آيات القرآن الكريم وضعه بالفرنسية : حول لا يوم نقله إلى العربية محمد فواد ط. عبدالباقي. وراجع النص في النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام لواء أحمد عبدالوهاب صـ 11 مكتبة وهبه 14 شارع الجمهورية عابدين قاهرة ط 3 س .1992

7) راجع الرب والله وجوجو (الأديان في أفريقية المعاصرة) تأليف القس جان مندلسون ترجمة إبراهيم أسعد صـ 108 وراجع النص في النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام أحمد عبدالوهاب صـ 12.وراجع كذلك المستشار محمد عزت الطهطاوي "الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق" ص77 وما بعدها .

8) الإيمان بالغيب بسام سلامه ص44 ط المنيف بالأردن

9) النازعات الآية 24 10) إبراهيم الآية 36

11) ملخص جارودي ما بعد به الإسلام صـ 268

12) راجع سفر التثنية إصحاح 6 الآية 4.

13) أشيعاء الأصحاح 43 اللآية 11

14) أشيعاءالإصحاح 45 الآية 5،.(إشعياء 9:46

15) خروج إصحاح 5 الآية .7.....9

16) تثنيه 20 . 1-----5 17) متى إصحاح 23 .آيه 8
18) مرقس إصحاح 1:30-31 19) يوحنا (18:30)
20) متى 28:12 21) لوقا 20:11
22) يوحنا 28:14 23) يوحنا 29:10
24) متى 11:21 25) لوقا 19:7
26) يوحنا (14:6 و 40:7 27) يوحنا 40:8
28) راجع بهجوت كيتا باب 7 أشلوك 20
29) أوبانشاد باب 6:1-2 30) أوبانشاد 6:9
31) أوبانشاد 19:4 32) أوبانشاد 4:20

33) راجع جورو جرانت صاحب جب جي الصفحة 1 الكتاب المقدس للسيخية. وراجع رسالة الأستاذ الدكتور محمد إكرام الحق الأزهري، وعنوانه "ملة السيخ بين الإسلام والهندوسيه"للحصول علي درجة الدكتوراه المقدمة إلي كلية أصول الدين بالقاهرة قسم العقيدة والفلسفة سنة 2005م

34) تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة د: محمد خليفة حسن قسم اللغات الشرقية وآدابها كلية الآداب جامعة قاهرة ص 279بتصرف سنة 1996 بدون مكان الطبع والمطبعة.

35) سورة الأنعام 162-163

36) الصحيح للإمام البخاري حديث رقم 46 كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان.

37) راجع: علم الأخلاق المسيحية دكتور القس فائز فارس ص 7 ط الأولى دار الثقافة القاهرة بدون السنة.

38) The Encyclopedia of religion by Mircea Eliade volume 10- page 92 Macmillan publishing Company New York, 1987.

39) راجع: علم الأخلاق المسيحية دكتور القس فائز فارس ص 8 ط الأولى دار الثقافة القاهرة بدون السنة.

40) سفر الخروج إصحاح 20 الأية 12—17

41) آل عمران الآية 175 42) متى :اصحاح 16 آيه10
43) الأعراف الآية 26 44) القلم الآيه 4

45) مسند إمام أحمد حديث رقم 8595كتاب باقي مسند المكثرين باب باقي مسند السابق

46) القيم الخلقية في الإسلام،د: أحمد ماهرمحمود البقري ص11 مؤسسة شباب الجامعة اسكندريه (بالتصرف)

47) القصص الآية 77

47) القيم الخلقية في الإسلام،د: أحمد ماهرمحمود البقري ص37 ومابعدها.

49) آل عمران: الآية 19

50) منوسمرتي، م. س، صـ .74

51) نفس المرجع والصفحة

52)منوسمرتي، م. س، ص 75، .76

53) منوسمرتي، م. س، ص .91،90

54) منوسمرتي، م. س، ص.85

55) الصحيح للبخاري حديث رقم 2285 كتاب المظالم والغضب أبنية الدور والجلوس عليهاعلي الصعدات.

56) الترمذي حديث رقم1844 كتاب البر والصلة من رسول الله باب ما جاء في رحمة الصبيان. وراجع مسند إمام أحمد حديث رقم6643 كتاب مسند المكثرين من الصحابة باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص.

57) منوسمرتي، م. س، ص.77

58) راجع البيان في مقارنة الأديان للدكتور اسعد السحمراني صـ 184، ط الأولى سنة 2001 دار النفاش للطباعة بيروت لبنان.

59) تقابل أديان "ذاكر نائك"ص235 ومابعدها إسلام بك ديبو لاهور.

60) كوتم بدھ راج محل جنكل تك كرشن كمار ترتيب وترميم خالد أرمان صـ 272، سنة الطبع 2002 نكارشات ببليشر المطبعة العربية لاهور.

61) نفس المرجع صـ 274.

62) نفس المرجع صـ .275

63) نفس المرجع صـ 276

64) Religion of the World By Lewis M Hopfe p:150 4 th Edition Macmillan Publisihing company New york

65) مذاهبِ عالم کا تقابلي مطالعة لشودري غلام رسول صـ.249

66) سفر الخروج إصحاح 20 الآية 12-17.

67) الهواء النافع حوراني بين أصحاب الشرائع،د:عبد الرحمن الحوراني، ص160 ،إدارة التوزيع والنشر برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمه .

68) اسلام اور مذاهب عالم امراء الرحمن بخاري صـ 101، نديم يونس برنترز لاهور، نيو بك بيلس اردو بازار لاهور.

69) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام أحمد عبدالوهاب صـ112 وراجع , طه (1964) .ديانة البابليين والأشوريين . مجلة سومر , ج1, مج2 , مديرية الآثارالقديمة العامة,بغداد , 1946 , ص11 .

70) جواد , د.حسن فاضل (1999) . الإخلاق في الفكر العراقي القديم . بيت الحكمة , بغداد , ص277 .

71) راجع القيم الخلقية في الإسلام للدكتور أحمد ماهر محمود التقرى صـ 104 مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر التوزيع بالأسكندرية سنة 1403هـ.

72) سورة النساء آية 58.

73) سورة المائدة آية .8

74) سورة الجن آيه 21.

75) سورة آل عمران الآية .64

76) سورة هود آيه 88.

77) مسند إمام أحمد حديث رقم 22391 كتاب مسند الأنبياء باب حديث رجل من أصحاب النبي .

78) سورة الحجرات آيه 13.

79) سورة المائده آيه 8